جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية – البكالوريوس– المرحلة الرابعة

اسم المادة : مناهج مفسرين

عنوان المحاضرة

صفات وآداب المفسر

أ.د عثمان فوزي علي

صفات وآداب المفسر:

إن كثيرا من الدارسين المحدثين قد أقحموا في دراساتهم كتبا، هي أبعد ما تكون عن التفاسير، وقاموا بدراسة مباحث رجال هم أبعد ما يكونون عن المفسرين، فارتأيت أن أقوم بدارسة شروط وآداب المفسر حتى تكون نبراسا في اختيار التفاسير التي يعول عليه الإنسان في استنباط مراد الله تعالى من القرآن الكريم.

لقيام أي بحث علمي لابد من توفر شروط نظرية نتطلبها في الباحث الذي يريد خوض غمار الكشف عن الحقيقة وتجليتها. وهذه الشروط التي نشترطها فيه هي ذات بعدين :

١-البعد الذاتي :

ونعني به الأخلاق والقيم الروحية التي ينبغي أن تتوفر في الباحث، لتؤهله لتحمل أمانة الكشف عن الحقيقة وتجليتها لمن يجهلها من البشر. وقد عبر سلفنا الصالح عما ذهبنا إليه بآداب العالم أو سمت العلماء .

٢-البعد المعرفي :

وهو يتمثل في جملة العلوم المساعدة والضرورية للكشف عن الحقيقة، والتي بدونها تذهب الجهود هدرا ودون جدوى، لأنها لم تتهيأ لها الأسباب الكفيلة بإيصالنا إلى الكشف الحقيقة التي نطمح إلى تجليتها وبيانها. وقد اصطلح العلماء على تسمية هذا البعد المعرفي بشروط العالم. وبالنسبة لمبحث تفسير القرآن الكريم فإن علماء الأمة قد وضعوا أيدينا على جملة آداب وشروط ينبغي توافرها في المفسر حتى يوفر لنفسه الأسباب الموصلة إلى الحقيقة .

وهي ما سميناه بالبعد الذاتي، وللسيوطي قول جامع فيه : " اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض. قلت : وفي هذا المعنى .

. قال سفيان بن عيينة " يقول أنزع عنهم فهم القرآن" أخرجه ابن أبي حاتم .

من هذا القول الجامع للإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ نستخلص جملة آداب يتعين على المفسر التحلي بها وهي :

١- صحة الاعتقاد .

٢- التجرد عن الهوى.

٣- حسن النية .

٤- حسن الخلق .

٥- التواضع ولين الجانب .

٦- الزهد في متاع الدنيا، حتى يكون عمله خالصا لله تعالى .

٧- إعلان التوبة والامتثال لأمور الشرع، والانتهاء عن نواهيه .

٨- عدم الاعتماد في التفسير على أهل البدع والضلالة.

٩- يتعين عليه أن لا يستكين إلى معقوله، وأن يجعل من كتاب الله أميرا يقتدى به .

ومن أقوال العلماء يتضح لنا أن التأويل المذموم هو الذي لا يبنى على علم محصل سلفا، يكون أداة المفسر وآلته في تبيان وتفسير القرآن الكريم.

ونختم هذه العبارات الكاشفة الرائدة بهذه العبارة التي يبين بها الطبيعة الحية للقرآن، التي لا بد ان تنعكس على من يريد فهم القران وتفسيره ،اي لابد له من استصحاب الأحوال والملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية التي صاحبت نزول النص القرآني، لابد من هذا لإدراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته، ولرؤية حيوته وهو يعمل في وسط حي ،ويواجهه حالة واقعة ،كما يواجهه أحياء يتحركون معه أو ضده.

هذه الرؤية ضرورية لفقه أحكام القرآن وتذوقها ،كما هي ضرورة للانتفاع بتوجهياته ،كلما تكررت تلك الظروف والملابسات في فترة تاريخية تالية.

المبحث الثالث: أحسن طرق التفسير

بين العلماء احسن طرق التفسير، واعتبروها طرقا مرحلية ،تقوم على عدة مراحل متعاقبة متتابعة.

ومن الذين تحدثوا عن أحسن طرق التفسير الامام ابنُ تيمية في رسالته القيمة(مقدمة في أصول التفسير) ،ونقل كلامه ابن كثير في مقدمة تفسيره (تفسير القران العظيم) ،والامام السيوطي في الاتقان، وغيرهما.

إنّ احسن طرق التفسير تلك الطرق المنهجية الموضوعية ، التي تقوم على ستة مراحل متتابعة:

تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة، ثم تفسير القرآن بأقوال التابعين، ثم تفسيره باللغة العربية، ثم استنباط معانيه ودلالاته وأحكامه.

وفيما يلي بيان لهذه المراحل:

المرحلة الاولى: تفسير القرآن بالقرآن:

إنّ طبيعة القران في عرض موضوعاته انه لا يعرض الموضوع الواحد في موضوع واحد ،وسورة واحدة، وانما (يوزعه) على سور ومواضع عديدة، لحكم تربوية وتشريعية واعجازية وبيانية ،مثال ذلك:

يحرم الله في هذه ة الآية على المسلمين القعود مع الكافرين والمنافقين ،عندما يخوضون في آيات الله ،ويكفرون بها ويستهزؤون بها .ويخبرهم انه سبق ان انزل عليهم اية في تحريم ذلك، ،وهذه الاية في سورة النساء ،وسورة النساء مدنية، وعلى المفسر ان يبحث عن الآية الأخرى التي سبق ان حرم الله فيها ذلك.

انها سورة الانعام المكية فحتى يفهم المفسر اية سورة النساء المدنية، لا بد ان يعود الى اية سورة الانعام المكية.

المرحلة الثانية تفسير القرآن بالسنة النبوية:

بعد ان يفسر المفسر الآية بالآيات الأخرى في موضوعها ومعناها، عليه ان ينتقل الى السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،ويبحث عن أحاديث الرسول(صلى الله عليه وسلم) في موضوع الآية.

كما يجب على المفسر ان يكون حذراً في اعتماده على احاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،وذلك بان لا يأخذ منها الا الصحيح الثابت، وان يُخَرج تلك الأحاديث ،ويذكر من رواها من الصحابة، ومن أخرجها من علماء الحديث.

وعليه ان يتجنب الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة ،وينزه تفسيره عنها ،فلا يجوز ان يفسر كلام الله الثابت بأحاديث موضوعة أو ضعيفة لم تثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).